

ملاحظات منهجية حول أطروحات

البحث في العلوم الإسلامية

د. نصر سلمان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

إن الكثير من البحوث الجامعية وبحكم التجربة نجدها تفتقد إلى العديد من المواصفات التي ترقى بها إلى درجة الأطروحات الأكاديمية الجادة، التي تخدم البحث العلمي، وتنتج باحثين يكون لهم الأثر البالغ في قلوب الحياة العلمية، والقدم الراسخة والكعب العالي في إنجاز بحوث تفخر بها أمتهم، وتعزز بها مؤسساتهم، ويفيد منها الراغبون في النهل العلمي والاستزادة الفكرية.

وبناء على ما سبق سنتطرق بإذنه تعالى للعديد من المواصفات الواجب توافرها في البحوث العلمية الأكاديمية محاولين ملامسة الداء، وإعطاء الدواء الناجع متمثلاً في إبراز جملة من الملاحظات المنهجية التي يجانب فيها كثير من الباحثين الصواب، عسانا نسهم ولو بوضع لبنة صغيرة في كيان البحث العلمي قصد ترقيته، والنهوض به، وإرساء دعائمه، وإصلاح ما قد يشوبه من خلل، مبرزين ذلك كله من خلال النقاط الآتية:

أولاً. كيفية صياغة البحث

يراعى في ذلك ما يأتي:

- 1- بعد القراءة المتكررة للمعلومة في المصادر يحاول الباحث صياغتها بأسلوبه الخاص.

2- أن يكون الأسلوب المستخدم في البحث أسلوباً جيداً يوصل الفكرة من أقصر الطرق وأيسرها.

3- أن يراعى في البحث سلامة اللغة فلا يجوز بحجة تحاشي الأساليب الأدبية في البحوث العلمية أن تأتي هذه البحوث مشوهة يرفع فيها المفعول به وينصب فيها الفاعل.

4- أن يحلّى البحث العلمي بتمهيدات تربط بين الفصول والمباحث، وبين المباحث والمطالب وهكذا. وأن تصاغ هذه التمهيدات بدقة متناهية لتكون كمدخل للفصل أو المبحث أو الفكرة المراد معالجتها في البحث، ولتهيئ القارئ إلى ما يرمي إليه الباحث من أفكار يريد طرحها ومناقشتها.

5- أن تكون أفكار البحث دقيقة واضحة لا يكتنفها الغموض ولا يعتورها الإبهام.

6- تجنب التكرار غير المحمود، والحشو الذي قد يخرج كثيراً مما يرد في البحث عن دائرة الخطوط العريضة التي يقوم عليها هيكله وكيانه، فكم من بحث تقرأ نصفه أو ثلثه فتجده نشازاً لا صلة له بعنوان البحث الذي يجب أن يكون كل ما يكتب في البحث غير خارج عن الإطار المرسوم له في العنوان.

7- تجنب التجريح الذي يتنافى وطبيعة البحث العلمي.

8- عدم استخدام عبارات العزم والقطع فيما لم يتأكد الباحث من خطئ صاحب ذلكم الرأي أو تلك الفكرة وإنما يقول: لعل الصواب كذا، ربما لم يحالفه الصواب فيما ذهب إليه... وهكذا.

9- الحرص على توثيق كل معلومة بل كل جملة تنقل في البحث مهما كان قصرها لأن ذلك من الأمانة العلمية الواجب توافرها في البحوث الأكاديمية.

10- احترام علامات التنصيص عند النقل والاقتباس.⁽¹⁾

11- عدم المبالغة في النقول، إذ الأولى الاستعاضة عن ذلك بالغوص في التحليل والإبداع.

12- بروز شخصية الباحث وذلك بإبداء الرأي تارة والتعليق على مسألة تارة والتعقب تارة ثالثة، وتخطئة فكرة ما بناء على أدلة مقنعة ومسعفة على أن يصاحب هذا كله أدب جم وحب للوصول إلى الحقيقة سواء أكانت إلى جانبه أم لجانب غيره.

13- تذييل المسائل بخلاصات موجزة تنبئ عما تناوله الباحث في هذا المبحث أو المطلب تعين من لا تسعفهم الظروف للاطلاع عن البحث كله أن يكونوا حوله فكرة ولو جزئية.

14- ختم المسائل بترجيح ما يراه الباحث راجحاً وذلك من خلال الاعتماد على الأدلة وطرق الترجيح المتعارف عليها.

ثانياً . كيفية عزو الآيات القرآنية

- 1- الاحتراز الشديد من وقوع الخطأ في كتابتها ونقلها.
- 2- كتابتها برواية ورش لأنها هي الرواية السائدة في الجزائر.
- 3- وجوب ضبطها بالشكل.
- 4- جعل الآية بين حاضنتين.
- 5- كتابتها بخط ثخين مميز عن الخط المستعمل في كتابة بقية المتن.
- 6- يفضل أن تكون عملية عزو الآيات إلى سورها داخل المتن وهذا من باب تخفيف الضغط على الهوامش التي تكون مليئة بإحالات أخرى.
- 7- عدم الاعتماد الكلي في نقل الآيات على الأقراص المضغوطة وذلك لوجود الأخطاء بها فمثلاً نجد القرص المضغوط لا يكسر فيه الساكن الأول إذا التقى ساكنان وإنما يوردهما ساكنين معاً مثل : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾⁽²⁾.

- 8- مقارنة ما أخذ من القرص بما هو موجود في المصحف المسطور
ويكون الترجيح دائما لما هو موجود في المصحف.
- 9- يستحب لطالب العلم أن يكون على وضوء عند تعامله مع الآيات
القرآنية في بحثه عزوا واستشهدا.
- 10- إذا وضعت الآية في البحث للاستشهاد بها كان لزاما على الباحث
أن يعود في وجوه الاستشهاد للتفاسير وهي كثيرة.⁽³⁾
- 11- ثالثا. كيفية تخريج الأحاديث النبوية
- 1- وجوب الاعتماد على المصادر الأصلية وعدم الاكتفاء بالعزو
للمراجع التي غالبا ما تكون ملأى بالأخطاء.
- 2- إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فلا بأس
بالاكتفاء عند العزو بهما.
- 3- إذا كان الحديث في غير الصحيحين فيجب لزاما البحث عن
درجته صحة وحسنا وضعفا.
- وذلك لكون هذه المصنفات تضم بين دفتيها الصحيح والحسن
والضعيف، ولذا وجب التنبيه على درجة الحديث.
- 4- إذا خرجت حديثا من المستدرک على الصحيحين للحاكم
النيسابوري، كان لزاما عليك عدم الاكتفاء به بل يجب الرجوع لتلخيص
المستدرک للحافظ الذهبي لترى هل وافقه أم خالفه؟ لأنه كم من حديث قال
فيه الحاكم النيسابوري (على شرط الشيخين أو على شرط أحدهما) ثم تعقبه
الذهبي مبينا ضعفه بل وضعه. وهذا لكون الحاكم متساهلا في التصحيح.⁽⁴⁾
- 4- إذا خرجت الحديث من أكثر من مصدر لا بد من التنبيه على أن
اللفظ لمن من الرواة هل هو لأبي داود أم للترمذي... مثلا.؟

5- لابد من التنبيه على الاختلاف أو الزيادات الواردة في ألفاظ الحديث وهذا لكون هذه الاختلافات في الألفاظ تنبني عليها أحكام شرعية كثيرة.

6- عدم الاكتفاء في التخريج بالرجوع للأقراص المضغوطة لأن هذه الأقراص فيها أخطاء كثيرة بالتحريف تارة، وبالسقط أخرى، إذ يضع الباحث نصب عينيه أن هذه الأقراص هي مجرد وسائل مساعدة ولا تغني بأي حال من الأحوال عن الرجوع للمصنف الحديثي.

7- عند تخريج الآثار (الموقوف والمقطوع) لا نكتفي بتخريجها من كتب الفقه مثلا وإنما هناك مصادر استوعبت جملة لا بأس بها من الآثار يجب الرجوع لها كالمصنف لابن أبي شيبة والمصنف لعبد الرزاق الصنعاني، والسنن الكبرى للبيهقي، والمحلى لابن حزم.

8- التوسع في تخريج الحديث أو الأثر في المتن إذا كان ينبني عليه التدليل لحكم أو رده وذلك بتتبع طرقه ورجاله وما قيل فيهم جرحا وتعديلا للوصول إلى حكم منصف في ذلك بناء على المرجحات التي تترأى للباحث. عند الاستعانة بالأقراص المضغوطة كوسيلة مساعدة في التخريج فإننا ننبه هنا إلى أن أقلها أخطاء الذهبية الميسرة.

رابعاً - كيفية الترجمة للرواة

1- عدم الترجمة للمشهورين والمعروفين كالخلفاء الأربعة، وكأئمة المذاهب الأربعة مثلا، وذلك لأن شهرتهم ومعرفة الناس لهم تغني عن التعريف بهم من جهة وتحاشيا لإثقال هوامش البحث من جهة ثانية.

2- عدم الإطناب في الترجمة للعلم الوارد في البحث إذ لا تتجاوز الترجمة الثلاثة أسطر.

3- يفضل أن تشمل الترجمة الاسم الكامل للمترجم له ومذهبه الفقهي أو العقدي الذي اشتهر به وكنيته وبعض شيوخه، وبعض مصنفاته، واثنين أو ثلاثا من تلاميذه البارزين وسنة وفاته.

4- عدم الترجمة للمتقدمين من مصنفات المتأخرين.

5- يفضل الترجمة لمن ينتمي لمذهب عقدي أو فقهي من الكتب المصنفة في الترجمة لأعلام ذلك المذهب.

6- التحري والتدقيق أثناء الترجمة للعلم الوارد في البحث وهذا حتى لا يخطئ الباحث فيترجم لعلم آخر غير الوارد في البحث ولا يجمع بينهما سوى مجرد التشابه في الاسم أو الكنية كمن يترجم لأبي البركات الدردير بينما الوارد في البحث أبو البركات النسفي صاحب مدارك التنزيل أو أبو البركات مجد الدين بن تيمية صاحب كتاب المحرر في الفقه الحنبلي أو يترجم لشيخ الإسلام ابن تيمية والمقصود بالترجمة جدّه مجد الدين وهكذا.

7- يجب الترجمة للصحابة من المصنفات الخاصة بسيرهم حتى يتميزوا عن غيرهم بشرف الصحبة.⁽⁵⁾

طريقة الوقوف على العلم في المصادر.

خامسا. كيفية التعريف بالأماكن والبلدان

لا يكتفى في التعريف بالبلدان بالرجوع لهذه الكتب للكتب القديمة مثل معجم البلدان و الأنساب واللباب وحدها دون الرجوع إلى كتب جغرافيا البلدان وكتب الأطالس الحديثة لتحليل أسماء ومواطن تلك الأماكن والبلدان بلغة العصر.

فمثلا لو عرفنا الجبل من معجم البلدان⁶ لوجدناه يقول في تعريفه: «اسم للبلاد الواقعة ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمدان والدينور وقرمسين والري، وما بين ذلك من البلاد الجليلة والكور العظيمة».

لا شك أن هذا الكلام لا يفك رموزه وطلاسمه معاصرون لأنه كتب بغير لغة عصرنا ولذا وجب إيراده وتفسيره بلغة العصر من كتب الجغرافيا والأطالس.

سادسا . كيفية التعامل مع الأشعار الواردة في البحث

- 1- كتابتها كتابة صحيحة خالية من أي خلل عروضي.
- 2- عزوها للمصادر الأصلية فإذا كان البيت لامرئ القيس نصصنا على عزوه من ديوانه.

- 3- التنقيص على البحر الشعري للبيت المستشهد به في البحث. (7)
- 4- إذا ورد مكسورا في مظهره لاسيما إذا كان في يراد تحقيقه فإنه لزام على الباحث أن يبين موطن الخلل فيه والكيفية المحتملة لإصلاحه وتصويبه حتى يتماشى مع تفعيلات البحر الشعري المنتسب إليه.

سابعا . كيفية التعامل مع الألفاظ الغريبة الواردة في البحث

- 1- يجب على الباحث لزاما إخلاء بحثه من كل شيء غريب أو غامض بل يلزمه شرح كل غريب لأنه لا يكتب لنفسه وإنما يكتب ليستفيد غيره من بحثه فلا يحسن به أن يرهق قارنه بأشياء غامضة غير مفهومة.
- 2- إذا كانت اللفظة أو العبارة الغامضة واردة في نص حديث أو أثر فإن الباحث يعود في شرحها للمصنفات المختصة بذلك مثل:
أ- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.
ب- الفائق في غريب الحديث للزمخشري.
ج- غريب الحديث للهروي.

ملاحظة:

قد يقول قائل: لماذا الرجوع لهذه المصادر وعدم الرجوع لغيرها من قواميس اللغة؟.

والجواب عن ذلك يتمثل في كون هذين المصدرين يضعان الكلمة عند شرحها في سياقها الحديثي الذي وردت من أجله، لأن الكلمة المشروحة قد تكون من ألفاظ المشترك التي تدل على معان متعددة فإذا شرحناها من غير هذه المصادر قد نختار لها شرحا غير مقصود في الحديث النبوي الشريف، أو الأثر الوارد عن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين.

3- إذا كانت اللفظة الغامضة ليست كلمة أو شطرا من حديث أو أثر فإننا نقوم بشرحها وذلك بالرجوع لأمّهات كتب اللغة .

ثامنا . كيفية التعامل مع المسائل الفقهية الواردة في البحث

- 1- إذا تعلق بالبحث مسألة فقهية فلا بد من الرجوع في تأصيلها لكتب أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة.
- 2- لا يجوز عزو رأي فقهني حنفي لمصدر مالكي أو شافعي أو حنبلي والعكس.

3- لا بد من النقل للرأي المعتمد في المذهب لأن المسألة قد تكون فيها مجموعة من الآراء المرجوحة أو الآراء التي رجع عنها إمام المذهب كما هو الشأن بالنسبة للإمام الشافعي إذ غير مذهبه عند رحيله من بغداد لمصر ولذا يجب على الباحث التحرز والتحري في ذلك.

- 4- محاولة تبسيط وتبيان ما أورده الفقهاء في كتبهم غامضا.

تاسعا . تجنب النقل بالواسطة

- 1- لا يجوز أن ينقل الباحث بالواسطة بل عليه أن يعود للمصدر الذي نقل منه صاحب الكتاب الذي عزا إليه.
- 2- إن النقل بالواسطة يوقع الباحث في جملة من المحاذير أهمها:
أ- قد يخطئ الواسطة في فهم أو نقل الكلام الموجود في المصدر الذي أخذ منه فيقع الباحث في الخطأ نفسه الذي وقع فيه الواسطة.

ب- اتصافه بالتواني وعدم تذوق معاناة البحث العلمي الذي يقتضي منه البحث والتنقيب عن الكتاب الأصلي مصدر المعلومة.

ج- قد يقع تقديم وتأخير أثناء كتابة البحث فينسب كلام لغير صاحبه فيقع الباحث الناقل بالواسطة في الخطأ نفسه الذي وقع فيه الناقل الأول.

د- قد يعتقد الباحث الناقل بالواسطة أن المنقول وارد بالمعنى ثم يتبين أنه نقل حرفي فيقع في الخطأ نفسه الذي وقع فيه الواسطة.

3- يلجأ للنقل بالواسطة في حالات نادرة كأن يكون المصدر الأصلي قد طبع طبعة قديمة لم يتمكن الباحث من العثور عليها بعد بذل الجهد الكبير في البحث والتنقيب عنها.

1- يلجأ للنقل بالواسطة إذا كانت المعلومة خادمة للبحث بطريق مباشر ولا يمكن الاستغناء عنها ولم يتمكن الباحث من العثور على المصدر الأصلي.

عشرا. ضبط الأسماء الواردة في البحث بالشكل

1- يجب على الباحث أن يقوم بعملية ضبط الأسماء الواردة في بحثه والتي تحتمل أكثر من وجه أثناء قراءتها مثل: أبو إسحاق السبيعي هل هي بفتح السين أو بضمها أو بكسرها، وهل السين مشددة أو مسهلة ومثل شعبة بن الحجاج أو بسطام هل هي بضم الباء أو بفتحها أو بكسرها.

ومثل عمر بن سعد الحفري هل هي الحفري أو الحفري أو الحفري.

وإننا لنجد علماء المسلمين يطبقون ذلك في مصنفاتهم فمثلا نجد ابن حجر عندما يترجم لراو ما قد يكون هناك أكثر من احتمال في قراءة اسمه يقوم بضبط ذلك فيقول: أبو الربيع الحُتلي بضم المعجمة وتشديد المثناة⁽⁸⁾.

وقال في ترجمة أخرى: «المفضل بن فضالة بن عبيد بن ثمامة القُتبانِي بكسر القاف ويسكون المثناة بعدها موحدة المصري أبو معاوية القاضي ثقة فاضل عابد أخطأ ابن سعد في تضعيفه من الثامنة مات سنة إحدى وثمانين |ع»⁽⁹⁾.

حادي عشر . كيفية التعامل مع الاقتباسات في البحوث العلمية¹⁰:

وستتطرق لذلك من خلال النقاط الآتية:

- 1- أن تكون الاقتباسات قصيرة ما أمكن بحيث لا تتجاوز الصفحة الواحدة.
- 2- دمج الاقتباسات بأقصى درجة ممكنة في البحث وذلك بهدف تحقيق التسلسل والترابط بين فقرات وجمل البحث حتى يبرز البحث وكأنه سلسلة محكمة الترابط بين أجزائها وحلقاتها.
- 3- بيان مصدر الاقتباس وذلك بالعزو إليه في هوامش البحث لأن ذلك مما تقتضيه الأمانة العلمية.
- 4- الحرص على وضع علامات الترقيم في النص المقتبس وذلك بوضعه بين شولتين إن كان مقتبسا حرفيا، أو بوضع ثلاث نقاط أفقية متتالية (...) وهذا عند حذف جملة منه، وإذا استدعى الاقتباس إضافة جملة توضيحية وتفسيرية يجب تمييزها عن الشيء المقتبس وذلك بوضعها بين قوسين كبيرين بهذا الشكل [].
- 5- الأمانة والدقة في النقل: وهذا يقتضي شدة التحري في الاقتباس وعدم النقل بالواسطة والرجوع إلى المصدر الأصلي للمعلومة المقتبسة.
- 6- أن يكون الاقتباس الذي اختاره الباحث يخدم موضوعه محل البحث، لا أن يكون الاقتباس لمجرد ملامسته للموضوع ولو بنسب ضئيلة تزيد الموضوع حشوا وتعقيدا لا وضوحا وثراء.
- 7- احترام القواعد القانونية المتعامل بها علميا في مسألة الاقتباس وذلك مثل:

أ- وضع الاقتباس بين شولتين إذا كان في حدود الستة أسطر.

ب- كتابته بخط مميز إذا كان في حدود الصفحة.

حادي عشر . كيفية التعامل مع الاقتباسات في البحوث العلمية¹⁰:

وستتطرق لذلك من خلال النقاط الآتية:

1- أن تكون الاقتباسات قصيرة ما أمكن بحيث لا تتجاوز الصفحة الواحدة.

2- دمج الاقتباسات بأقصى درجة ممكنة في البحث وذلك بهدف تحقق التسلسل والترابط بين فقرات وجمل البحث حتى يبرز البحث وكأنه سلسلة محكمة الترابط بين أجزائها وحلقاتها.

3- بيان مصدر الاقتباس وذلك بالعزو إليه في هوامش البحث لأن ذلك مما تقتضيه الأمانة العلمية.

4- الحرص على وضع علامات الترقيم في النص المقتبس وذلك بوضعه بين شولتين إن كان مقتبسا حرفيا، أو بوضع ثلاث نقاط أفقية متتالية (...) وهذا عند حذف جملة منه، وإذا استدعى الاقتباس إضافة جملة توضيحية وتفسيرية يجب تمييزها عن الشيء المقتبس وذلك بوضعها بين قوسين كبيرين بهذا الشكل [].

5- الأمانة والدقة في النقل: وهذا يقتضي شدة التحري في الاقتباس وعدم النقل بالواسطة والرجوع إلى المصدر الأصلي للمعلومة المقتبسة.

6- أن يكون الاقتباس الذي اختاره الباحث يخدم موضوعه محل البحث، لا أن يكون الاقتباس لمجرد ملامسته للموضوع ولو بنسب ضئيلة تزيد الموضوع حشوا وتعقيدا لا وضوحا وثراء.

7- احترام القواعد القانونية المتعامل بها علميا في مسألة الاقتباس وذلك مثل:

أ- وضع الاقتباس بين شولتين إذا كان في حدود الستة أسطر.

ب- كتابته بخط مميز إذا كان في حدود الصفحة.

ج- عدم جواز الاقتباس الحرفي إذا تجاوز النقل الصفحة وإنما يلجأ للحالة الثانية وهي طريقة الاقتباس التلخيصي أي غير المباشر.

8- دقة الباحث في انتقاء واختيار المصادر التي يرغب في الاقتباس منها بأن تكون مصادره أصيلة في الموضوع وليست مصادر فرعية وأن يكون مؤلفوها من الموثوق بقدرتهم ومكانتهم العلمية¹¹.

9- عدم اختفاء شخصية الباحث بين ثنايا كثرة الاقتباسات.

10- ألا تكون الرسالة عبارة عن سلسلة من الاقتباسات المتتالية.

إذا كان الاقتباس لرأي مؤلف ما قصد مناقشته في ذلك وجب على الباحث التأكد من أن المؤلف لم يعدل عن هذا الرأي فيما نشره بعد ذلك من أبحاث، أو في الطباعات الحديثة للكتاب.

الهوامش:

(¹) أحمد شلبي : كيف تكتب بحثاً أو رسالة ص 173 - 175 ، وقارن ب : غازي عناية: مناهج البحث العلمي في الإسلام، 205-208. وإعداد البحث العلمي، 79-82 ، ومحمد شفيق البحث العلمي - الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية 257 - 259 .

(²) البيئة : 1 .

(³) مثل جامع البيان للطبري ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير والكشاف للزمخشري ، ومدارك التنزيل للنسفي ، وزاد المسير لابن الجوزي ، وأحكام القرآن للشافعي ، وأحكام القرآن لابن العربي ، وأحكام القرآن للجصاص ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

(⁴) الزيلعي : نصب الراية 1 / 341 - 342 ، وابن الصلاح : المقدمة 14 ، والذهبي : ميزان الاعتدال 3 / 608 ، والسيوطي : تدريب الراوي 106/1 - 107 .

(5) كلاسيتعاب لابن عبد البر , وأسد الغابة لابن الأثير , والإصابة في تمييز الصحابة

لابن حجر .

115/2⁶.

(7) وذلك ببيان هل البيت من الطويل , أو الكامل , أو الوافر , أو البسيط , أو الرمل

... إلخ .

(8) تقريب التهذيب، 324-323/1.

(9) تقريب التهذيب، 271/2.

¹⁰ أحمد شلبي : كيف تكتب بحثاً أو رسالة ص 89 - 92 , ومحمد زيان عمر:

البحث العلمي مناهجه وتقنياته، ص 396-398، وغازي عناية: مناهج البحث العلمي

في الإسلام، 194-195، وإعداد البحث العلمي، 65-66.

¹¹ أحمد شلبي: كيف تكتب بحثاً أو رسالة- دراسة منهجية لكتابة الأبحاث وإعداد

رسائل الماجستير والدكتوراه- ط 6، سنة 1968، مكتبة النهضة المصرية، لأصحابها

حسن محمد وأولاده، القاهرة- مصر.